التَّكامل الدلالي في القصص القرآني أمر آدم بالسكن في الجنة، وارسال موسى الى فرعون أنموذجا

أ.م.م. طارق حميد عجيمي
وزارة التربية - مديرية تربية ذي قار – قسم تربية الغراف

الخلاصة

البحث يدور حول ظاهرة اعجازية بيانية اتسم بها النص القرآني الكريم، وهي ظاهرة التكامل الدلالي، التي تُعدُّ وسيلةً بيانيةً من خلالها يعرضُ النَّصُّ المبارك مضامينه. ونقصد بها أنَّ المستويات التعبيرية جميعها، الصَّوتيَّة، والمُعجمية، والنحوية، والنَّفسية، تتضافر جميعها من خلال مناسبتين، الأولى تحصل بين تلك المستويات، إذ وجدنا أنَّ تكاملاً دلالياً حاصلاً بين هذه المستويات في القرآن الكريم. ومن جهة أخرى هناك تكاملاً آخر بينها وبين المقام العام للسورة التي تَرِدُ فيها الآية الكريمة.

البحث سار على المنهج الوصفي التحليلي، جاء معقوداً على مبحثين. عُقِدَ المبحثُ الأول ُ للحديث عن أمر النبي آدم (عليه السلام) وزوجه بالسكن في الجَّنة، وجاء ذلك في سورتي البقرة والأعراف. وأخذ البحث العمل على إظهار ذلك التكامل بين أجزاء التعبير القُرآني من خلال كشف الدلالة الكامنة في المستويات التعبيريَّة ، الصَّوتيَّة، والمُعجمية، والنحوية، والنَّفسية. مع مراعاة الحاكميَّة السياقيَّة للسورة التي ترِدُ فيها الآية. وعُقِدَ المبحث الثاني للحديث عن

ارسال موسى(عليه السلام) إلى فرعون وملئه. وسار على المنهج ذاته في بيان العلاقة بين المستويات التعبيرية، إذ وجدنا أنَّها علاقة تكاملية من خلالها يتمكنُ المتلقي من الحصول على المضمون أو المعنى على أفضل صورة.
الكلمات المفتاحية: (التكامل – الدلالي – القصص – القرآني).

Abstract

The research revolves around a graphic miraculous phenomenon that characterized the Holy Quranic text, which is the phenomenon of semantic integration, which is a graphic means through which the blessed text displays its contents. We mean that all expressive levels, vocal, lexical, grammatical, and psychological, are all combined through two occasions, the first occurs between those levels, as we found that a semantic integration between these levels in the Holy Qur'an. On the other hand, there is another integration between it and the general position of the surah in which the noble verse is mentioned.

The research went on the descriptive analytical approach, which came as two topics. The first topic was held to talk about the command of the Prophet Adam (peace be upon him) and his wife to live in paradise, and this came in the surahs of the cow and norms. The research took the work to show that integration between the parts of the Quranic expression by revealing the inherent significance in the expressive, vocal, lexical, grammatical, and psychological levels. Taking into account the contextual governance of the surah in which the verse is returned. The second topic was held to talk about sending Moses (peace be upon him) to Pharaoh and his fullness. He followed the same curriculum in explaining the relationship between expressive levels, as we found that it is an integral relationship through which the recipient can obtain the content or meaning in the best way.
Keywords :(semantic – integration – stories - the Quranic)

المبحث الأوَّل : أمر آدم وزوجه بالسكن في الجنة وعدم التقرب من الشجرة :

ورد الإخبار عن الأمر بسكن آدم (عليه السلام) وزوجِهِ بالجَنَّةِ في سورة البقرة، إذ قال تعالى ((**وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**))[البقرة:٣٥]. **ومما يجدرُ الاشارة إليه فإنَّ السياق العام الذي هيمن على سورة البقرة هو تكريم وتشريف لآدم(عليه السلام)؛ لذلك سميت بالزهراء؛ لأنَّها (لا يجابها إسفار الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن في شك مريب، فيحال بينه وبين ما يشتهي. ولأنها سورة الكتاب الذي هو هادٍ، والهادي يلازمه النور الحسي المدرك بالبصر، أو المعنوي المدرك بالبصيرة)[1].**

وورد كذلك في سورة الأعراف، إذ قال تعالى((**وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**)) [**الأعراف:١٩**]. وذكر البقاعي (ت٨٨٥هـ) أنَّ مقصودها هيمن عليه أسلوب التأنيب والانذار لمن (أعرض عمَّا دعا إليه الكتاب في السور الماضية. من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين)[٢]

أضاف اللهُ تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين جُزءا آخر من قصة آدم (عليه السلام)، لم يُعرضْ في السور الأُخَرِ، ليُقدِّمَ بذلك تكاملاً موضوعيَّاً في عرضه لأحداث تلك القُصَّةِ، وإنْ جاءتْ متفرِّقةً في النَّصِّ الكريم، وهو بذلك يُثبِتُ للمُتلقي حقيقةَ تكامله وتماسكه.

أمَّا التكامل الحاصل في مستوياته التعبيريَّة، فمن خلال البحث في أساليب التعبير في هذين النَّصَّين الكريمين يمكن الوقوف على تلك الظاهرة الإعجازية من خلال إظهار مدى التماسك والانسجام بين المستويات التعبيريَّة.

الدلالة الصوتيَّة:

إذا نظرنا إلى صفات الأصوات الغالبة على الآية الكريمة، سنجدُ بأنَّ الآيةَ الكريمة في سورة البقرة، إذ يقول تعالى ((**وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**)) [**البقرة:٣٥**]، فقد احتوت على أصوات الجهر والتي بعضُها تتصف بالجهر والشِّدَّةِ في الوقت نفسه، إذ طغى وجود هذه الأصوات على سياق النص، وما ذلك إلا شكلٌ من أشكال التكامل في التعبير عن أهميَّة ذلك الأمر الذي تضمن ثلاثة أمورٍ هي : نداءٌ لآدمَ وهو نداء تكريمٍ، وأمرٌ في(وكلا)، وهو أمرُ إباحةٍ، وأمرٌ بالنهي وهو أمرٌ تعبدي بالاتفاق[٣].

ومن الحروف التي تتصف بصفة الجهر، وغلبت على النص من حيث الحضور الكمِّي، وقد تكررت نجدُ:(الدال، والميم، والنون، والجيم، واللام). أمَّا الأصوات الشديدة نجدُ: (الكاف، والتاء، والدَّال، والباء، والقاف). ويضاف لذلك أنَّ حرف النداء متكون من (الياء، والألف)، وكلاهما مجهوران.

أمَّا حضور الأصوات التي تتصف بالانفتاح، كالهمزة، والتاء، والكاف، والقاف، واللام- ،والنون، والشين، والسين، والزاي، والألف، والميم، فلعل ذلك الحضور يُشير إلى ذلك التكريم الذي أكرم به الله تعالى آدم، إذ جعله أشرف منزلةً من الملائكة بأمرهم بالسجود له، إذ يقول تعالى ((**وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ**)) [**البقرة:٣٤**].

وبالنظر لطبيعة اللغة العربية التي تقوم في كثيرٍ من أحوالها على وجود علاقةٍ بين أصواتها ودلالاتها، إذ إنَّ الصوت بمثابةٍ

مفتاح للتأثيرات الإيحائية، التي يتأثر بها السامع من خلال ما توحيه تلك الأصوات[٤].

لعلنا لا نجافي الصواب بالقول: إنَّ ما جاء في سياق النص الكريم في سورة البقرة، وما قاربها من مضامين تُشيرُ إلى الاعلان الصريح القائم على المنزلة التكريمية التي أكرم الله تعالى بها النبي(عليه السلام)، وكذلك لعل وجودها يعمل على إبراز منزلته من حيثُ كونه مخلوقاً أمر اللهُ تعالى الملائكةَ بالسجود له، وتعليمه ما لم يعلم الملائكة في قوله تعالى((**وعَلَّمَ آدمَ الأسماء كُلَّها**))[**البقرة:٣١**]، وإدخاله الجنَّة مع الإباحة في المسكن والأكل من حيث يشاء.

كلُّ ذلك ناسبه من جهة علو المقام، وحجم التكريم التعبير بحروف الجهر والشدة؛ ليكون المعنى حاضراً من خلال ما توحيه تلك الحروف من تأثير في ذهن السامع.

الدلالة المعجميَّة :

سعياً صوب اثبات سمة التكامل الدلالي في النص الكريم المقتطع من سورة البقرة، نأخذ الوحدة المعجمية (أسكن) الواردة في قوله تعالى ((**وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**))[**البقرة:٣٥**]، لننظر في نوع الانسجام الذي حقَّقته في تكامل النص دلاليَّاً.

بدايةً نأخذ المعنى المعجمي لتلك الكلمة، ثُمَّ نعرض من خلال ذلك نوع الدور الذي تقوم به في رفد عملية التكامل الدلالي. جاء في العين معانٍ عدَّة لهذه اللفظة، منها : ذهاب الحركة، ويقال بمعنى سكت، وسكنت الريح، وسكن المطر، وسكن الغضب. والسَّكَنُ: المنزل، وهو المَسْكَنُ أيضاً. والسَّكَنُ: سكونُ البيت من غير كراء أو بكراء[٥].

أمَّا الفارابي (ت٣٥٠هـ) فقد وجه كثيراً من الألفاظ نحو معنى السكون، إذ رأى بأنَّ هدأ بمعنى سكن، ويقال: اطمأنَّ إذا سكن، وباخ الغضب، أي سكن[٦]. وذكر ابن فارس(ت٣٩٥هـ) أنَّ لهذا الجذر(سكن) معانياً منها: إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ. ومنها كذلك بسكون الكاف، السَّكْنُ: الْأَهْلُ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الدَّارَ، وكذلك يُشيرُ إلى كُلِّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ مِنْ شيءٍ مَحْبُوبٍ[٧].

بعد هذا البيان للمعنى المعجمي للفظ المقصود، نخلص إلى أهمِّ المعاني التي دلَّ عليها وهي (السكون وهو ضد الحركة، والهدوء، وهو ضد الاضطراب، والنزول في البيت بكراء أو بدونه، وهو الاستقرار والطمأنينة، وهي ضد الحذر والخوف). ويبدو بعد ذلك أنَّ القيمة الدلالية التي حملتها تلك اللفظة، هي التي فرضتْ حضورها في هذا الموضع، إذ بدا أنَّ المعاني التي تعبِّرُ عنها تنسجم تماماً مع عملية التكريم والتشريف التي مَنَّ بها الله

تعالى على آدم(عليه السلام).

فالهدوء، والاستقرارُ في البيت أو المكان، والطمأنينة، كلُّ هذه المعاني فيها من التصريح على تكريم النبي ما لا يخفى على ذي لُبِّرةً . وهذا بدوره يُعدُّ صورةً واضحةً من صور التكامل الدلالي بين مستويات النص الكريم التعبيرية من جهةٍ، وبين المقام العام للنص من جهةٍ أخرى.

والشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في حديثٍ له حول هذا النص الكريم، ذكر بأنَّ النصَّ فيه امر من الله تعالى لآدم، وجاء هذا الأمر بعد أنْ أنعمَ الله تعالى عليه بما أختص به من العلم وتفضيله على الملائكة، وكذلك أكرمه بأمر الملائكة بالسجود له، ثمَّ جاء الأمر بقوله((قلنا)) بالضمير (نا) الدال على الكبرياء والعظمة، وليس على الجمع، وهو أمرٌ أنعم به الله تعالى على آدم وزوجه بالسكن في الجنَّة؛ لتكون لهم مستقرَّاً [٨].

الدلالة النَّحويَّة :

بدايةً لو نظرنا إلى سياق الحال في سورة البقرة، لوجدنا بأنَّها تتحدثُ عن مقام تكريم النبي آدم(عليه السلام) ، ومن ذلك ما ذكره الزمخشري(٥٣٨هـ) عن سبب إباحة السجود لآدم إذ رأى بأنَّه سجودُ تكريم، إذ يقول تعالى((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ**)) [**البقرة:٣٤**][٩] ، وقبل ذلك أيضاً، جاء التكريم في استخلاف آدم الأرض، إذ قال تعالى((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**))[**البقرة:٣٠**].

فالسياق العام سياق تكريم، فناسب ذلك المقام إيرادُ كلِّ ما ينسجم معه. وممَّا جاء متناسباً مع ذلك التكريم، ما ذكر الكرماني بأنَّ التعبير في سورة البقرة فيه ملامح التعظيم- وهو يقارنها بسورة الأعراف- ، وقد تمثَّلت بزيادة لفظ(رغداً)، التي تُشيرُ إلى المكانة العظيمة، التي ألمح إليها تعالى بإسناد الفعل ضمير الجماعة(نا)، حيث قال: (وَزَاد فِي الْبَقَرَة {رغدا} لما زَاد فِي الْخَبَر تَعْظِيمًا بقوله {وَقُلْنَا} بِخِلَاف سُورَة الْأَعْرَاف فَإِن فِيهَا (قَالَ))[١٠].

ومن هذا المنطلق يبدو أنَّ عملية الذكر في سورة البقرة، وعملية الحذف في سورة الاعراف كان من وراء كلٍّ منهما غايةٌ، تتعلق بالمغزى العام للنص. فذكر (رغدا) في سورة البقرة، لعلها مرتبطةٌ بمقام التكريم الذي قامتْ عليه السورة. ومثل ذلك القول في سبب اسناد الفعل (قال) إلى الذات المقدسة.

وأشار الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى أنَّ استعمال الظرف(حيثُ) مُبهماً من غير تخصيص بحرف الجر (من) في سورة البقرة أو تحديد فيه إشارةٌ إلى الاطلاق والسعة، بمعنى أنَّ لكما حريّة الاختيار في الأكل من أي نوعٍ موجود في الجَنَّة وكذلك من أيِّ مكانٍ فيها. وكُلُّ ذلك-كما يرى الزمخشري- جاء على وجه التوسعة

البالغة التي تتناسب مع سياق التكريم لآدمَ (عليه السلام) الذي بدا على النص[11].

أمَّا الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ)، فقد أشار إلى النكتةِ البلاغيَّةِ وراء اختلافِ التعبير بين قوله تعالى ((وكُلا مِنها رَغَداً))[البقرة:٣٥]، وبين قوله تعالى((فَكُلَا مِن حيثُ شِئتُمَا))[الأعراف:١٩]، إذ ذكر بأنَّ الحديثَ في سورة البقرة حديثُ يتحدَّثُ عن حال آدم (عليه السلام) وهو في الجَنَّة، أي بعد تكريمه وادخاله الجنة، فمعنى(أسكن) هنا أمر بالإقامة والاستقرار بعد أنْ أدخله الله تعالى إلى الجَنَّة، والدليل على ذلك أنَّ العطف في سورة البقرة جاء بالحرف (الواو) الذي ناسب ذلك الأمر؛ لأنَّها تؤدي الغرض المتمثل بالإباحة التامة لآدم(عليه السلام) ، أي أنَّ المعنى: لك مباحٌ الجمع بين الاستقرار والأكل من حيث تشاء.

وهذا لا يكون مع (الفاء)؛لأنَّ الفاء ما بعدها متعلق بحدوث ما قبلها.(فاسكن) في سورة الأعراف بمعنى أدخل، أي أنَّ المراد هو إدخاله إلى الجنة، والأكل متوقف على ذلك الدخول، فناسب ذلك النوع الفاء ؛لأنها تدلُّ على الترتيب والتعقيب[12].

ولعل الحديث الذي جاء في سورة البقرة حديثٌ يُشكِّلُ وجهاً صريحاً من وجوه التكامل الدلالي بين أساليب التعبير والسياق العام للسورة، من حيثُ إنَّ الكلام فيها جاء يتحدثُ عن منزلة آدم (عليه السلام) بعد أنْ تمَّ تكريمُهُ بالجنة، ومعنى (اسكن) ليس كما في الأعراف، بل يُشيرُ إلى السُّكنى مع اللبثِ والاستقرار بدون تعلق الأكل بذلك، بل جاء الجمع بالأكل زيادةً في التكريم له؛ لأنَّ الواو تدلُّ على الجمع المُطلق.

أمَّا في الأعراف فالسياق العام للسورة مختلفٌ عمَّا عليه في البقرة، فقد أشار السامرائي أنَّ قصة آدم في سورة الأعراف وقعت في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظَّالمة من بني آدم، وفي سياق غضب الله تعالى، إذ قال تعالى((فَكَم من قريةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بأسُنا...))[الاعراف:٤].

أمَّا التكريم فقد وقع فيها أمراً ثانويَّاً.

ولمَّا كان السياق كذلك جاء التغاير بحسب ما يناسب كل نص. فالواو أكثر سعة من الفاء ففيها الجمع والترتيب وغيره، لكن الفاء ليس لها الا الترتيب والتعقيب، فكان ذلك المعنى يتناسب مع سياق سورة الاعراف، فضلاً عن ذلك ذكر كلمة(رغداً) في سياق التكريم والسعة، وحذفها في سياق التضييق[13].

خلاصة القول، إنَّ الذكر الذي كان في البقرة، والمتمثل بكلمة(رغداً) جاء تكريما لآدم، بالنظر إلى المعنى الكامن في تلك اللفظة. والذكر الحاصل في سورة البقرة كذلك للضمير الهاء في قوله تعالى((منها))، فيه اضافةٌ تكريمية -كما رأى السامرائي[14]- لآدم.

أما الذكر الحاصل في سورة الاعراف في قوله تعالى((من حيثُ)) ففيه تخصيص

يقلل من شأن التوسعة التي في البقرة، إذ جاء الظرف مطلقاً ومبهماً، أي لا حدود له على وجه السعة. فالظرف في البقرة يحتمل معنيين في آنٍ واحد، إذ يمكن أن يدل على السكن والأكل في آنٍ واحدٍ. أمَّا في الاعراف فقد خُصِّصَ بالحرف (من)، وبذلك فقد حُصِرتْ دلالته في معنى واحدٍ فقط وهو الأكل فقط، ولا يصح تعليقه بالسكن[١٥].

الدلالة النفسيَّة:

البحث في التراكيب التعبيريةِ للنص الكريم كفيل بعرض الدلالة النفسية التي عليها طرف الخطاب، جدير بنا أن ننقل عن الاسكافي(ت٤٢٠هـ) علة الاختلاف بين التعبير الذي جاء في سورة البقرة، والتعبير الذي في سورة الاعراف، إذ ذكر أنَّ العطف في البقرة كان بالواو، حيث قال تعالى ((**وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا**)).

أمَّا في الاعراف، فقد جاء العطف بالفاء، حيث قال تعالى ((**وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا**)). وعلل ذلك بأنَّ الحال في سورة البقرة مختلفةٌ عنها في الاعراف، إذ ذكر أنَّ الأصل في ذلك هو أنَّ كل فعل عُطِف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء، وجب عطفه بالفاء، دون الواو كقوله تعالى: ((**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم**))، وكأنك تقول: (إذا سكنت فكل).

أمَّا إذا لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء، وعلى هذا قوله تعالى في البقرة : ((**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما**))[١٦].

ويبدو أنَّ ذلك التوجيه يُشير إلى أنَّ ما جاء في الاعراف حديث عن أمر آدم وزوجه بالسكن في الجنَّة ولمَّا يدخلاها بعدُ، لأنَّ الاكل لم يكن حاصلاً بدليل التعليق المشروط الذي عبَّر عنه الفاء. ولعل ذلك يحمل ايحاءً دلالياً بأنَّ الحال هنا تُشير إلى الاشتراط الذي يُشعِرُ بالتضييق في التكريم الذي يترتبُ عليه عدم الاطمئنان، إذ إنك لو قلت: (ادخل فكل) كان على السامع أن يفهم بأنَّ عليه أنْ يأكلَ في عقب الدخول، ولو تأخَّرَ لكان مخالفاً[١٧].

أمَّا الحال في سورة البقرة، فيبدو أنَّها نُشيرُ إلى الطمأنينة والاستقرار في الحالة النفسية التي عليها آدم وزوجه، إذ إنَّ ما يوحيه حرف العطف الواو يُشير إلى سعة التكريم، ولا يقتصر الأمر على حضور حرف الواو، بل هناك اشارات تعبيرية أخرى تدلُّ على ذلك التكريم، الذي يبعثُ على الطمأنينة.

وقد أشار ابنُ جماعة (ت٧٣٣هـ) إلى ذلك، إذ رأى (إن السكنى في البقرة: للإقامة، وفي الأعراف اتخاذ المسكن. فلما نسب القول إليه تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ) ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذلك قال فيه: (

رغدا)، وقال: (حَيْثُ شِئْتُمَا) لأنه أعم. وفي الأعراف: وَيَا آدَمُ، فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد الاتخاذ، و (من حَيْثُ) لايعطى عموم معنى (حَيْثُ شِئْتُمَا))[١٨].

ولعلنا نستطيع أنْ نستشعر الدلالة النفسية من خلال كل المستويات، التي بُني عليها النص الكريم. فالخطاب في سورة البقرة أسنده الله تعالى إلى نفسه، وهذا الأمر يأتي به القرآن الكريم في مقام التعظيم، والتفضل، ولم يكن ذلك في سورة الاعراف[١٩].

وكذلك في استعمال الواو وما تؤديه من معانٍ كلها تدل على التكريم الذي يبعث على الارتياح النفسي لدى المتلقي. فهي تحتمل أنْ تكون الاباحة في الاكل والسكن بتقدير (اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما)[٢٠]. وهذا لا يكون من الفاء.

وكذلك ما يحمله وجود اللفظ(رغداً)، فهو يوحي بمدى التشريف والتعظيم؛ لأنَّ ورود هذه اللفظة في النصِّ يُشيرُ إلى معنى التوسعة في الأكل، ومعنى التبعيض فيه اشارةٌ إلى كُثرة النعم، التي تبعيضها فيه من كلِّ متنعمٍ به ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر[٢١]. خلاصة القول أن التعبيرات الحاصلة في المستويات الصوتية، وما فيها من أصوات للانفتاح كما أشرنا، وما توحيه لفظة السكم المطلق وليس المعلق بالفاء، وما توحيه كذلك التراكيب النحوية من ذكر وحذف وتبعيض واطلاقٍ.

فكل ذلك لعله يوحي إلى الاستقرار النَّفسي والطمأنينة، التي تلقى فيها آدم (عليه السلام) الخطاب في سورة البقرة. وخلاف ذلك ما نجد في سورة الاعراف.

المبحث الثاني: إرسال موسى(عليه السلام) إلى فرعون:

ورد الحديث عن ارسال النَّبي إلى فرعون في سور عِدَّةٍ*. ومن ذلك ما جاء في سورة طه، إذ قال تعالى((**ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ**))[**طه: ٢٤**} قبل أنْ نشرعَ في بيان التضافر الحاصل بين مستويات التعبير القُرآني، جديرٌ بالذكر الإشارة إلى السياق الذي غلب على سورة طه، إذ اتصف سياقها العام بالخطاب الفردي المباشر- غالباً- كذلك حملت مضموناً، تمثل بدفع المشقَّة عن الأنبياء والترويح عنهم، وعرضٍ للخاتمة الحسنة من بعد تلك المشقة، واذلال الكفر والطغيان، فالسياق يُشير إلى رعاية الله تعالى لأنبيائه، وتبشيرهم بحسن العاقبة، وسوء عاقبة المعاندين [٢٢].

وسياق النَّصُّ يتحدثُ عن إرسال موسى (عليه السلام) إلى فرعون الذي (طغى)، والطغيان يعني تجاوز الحدِّ في كُلِّ شيء[٢٣]. وذكر صاحب المفردات بأنَّ طغى هنا تُشيرُ إلى تجاوز فرعون الحدَّ في ظلمه، وعصيانه[٢٤].

الدلالة الصوتيَّة :

أمَّا إذا أردنا البحث في المستوى الصوتي،

فسنجد بأنَّ الآيةَ الكريمة قد اشتملت على تسعة عشر حرفاً، إذ اشتملت على ثلاثةِ حروفٍ من حروف الشدة، وهي(الهمزة، والباء، والطاء)، وقد تكررت الهمزة مرتين في(إلى)، وفي(إنَّهُ)، واشتملت على عشرة حروفٍ من حروف الجهر- نسبة عالية جداً مع تكرار الحروف- وهي (الهمزة، والذال، والباء، واللام، والراء، والعين، والواو، والنون، والطاء، والغين)، وكان منها (الغين، والطاء) للاستعلاء، وكذلك(الهمزة، والباء، والطاء) للشدة.

ولعل حضور تلك الحروف التي تتصف بتلك الصفات(الشدة، والجهر، والاستعلاء)، على اختلاف نسب الحضور -كما يظهر- لعله يُشيرُ إلى عظم المهمة، التي أوكلها الله تعالى إلى النبي موسى (عليه السلام)، وخطورتها.

فالشدَّةُ تحمل معالم القوة التي يتمتع بها النبي، والتي تتناسب مع حجم الطغيان الذي عليه فرعون. أمَّا الاستعلاء فلعله يُشيرُ إلى علو مرتبة النبي، وقدرته على خصمه فرعون؛ كونه مبعوثاً من الخالق الجبار القوي إلى الضال، والمعاند الطاغي.

ويعضد ذلك ما جاء في السياق السابق للنص الكريم، إذ تشيرُ المحاورة بين الله تعالى والنبي إلى اختيار الله تعالى له، واكرام النبي بالمعجزات التي عجز عنها السحرة من اتباع فرعون، إذ بدأت المحاورةُ بالاختيار، وانتهت باسم التفضيل((الكبرى)) للآيات، التي سيراها النبي (عليه السلام)، إذ قال تعالى((**وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ * إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ * إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ * وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ * لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى**))[طه:١٣ – ٢٢].

أمَّا حروف الجهر، فلعلَّها تمثل السمة الاعلانية لذلك الأمر، وهذا يوحي بالقُدرة والقوة التي من خلالها سيواجه النبي موسى الطاغيةَ فرعون. ويعضد ذلك ورود حرف من حروف الوضوح، أو المصوتات الطويلة، وهو(الألف) في (إلى)، و(طغى)، ومعه كذلك (الواو، والياء)، وهما يحملان أيضاً سمة الوضوح؛ لأنَّ (الألف، والواو، والياء) أشدُّ وضوحاً في السمع من الأصوات اللغوية الأُخرى، ولَعَلَّ مردَّ ذلك أنَّها أصواتٌ تتصف بالجهر[٢٥].

أمَّا إذا نظرنا إلى المقاطع الصوتية التي نسجت النغمة الموسيقية للآية المباركة، فإننا سنجد بأنَّها تكونت من اثني

عشر مقطعاً صوتياً، ستةُ مقاطعٍ جاءتْ مغلقةً(ص ح ص)، وخمسةُ مقاطعٍ جاءتْ مفتوحةً قصيرةً(ص ح)، ومقطعٌ واحدٌ فقط جاء طويلاً مفتوحاً (ص ح ح).

ولعل حضور المقاطع الصوتية المغلقة بهذه النسبة، ما هو إلا اشارةٌ إلى تلك القوة والشدة، والعزيمة التي يتمتع بها النبي قبيل إرساله إلى فرعون، والتي أوحى إليها اللفظ (اذهب) كما سنشير في الجانب المعجمي. ومعلومٌ في الدرس الصوتي بأنَّ المقاطع الطويلة المغلقة، تُعبِّرُ عن تلك المعاني، كالقوةِ، والشِّدَّةِ، والحتمية، وما شابه تلك المعاني[٢٦].

أمَّا المقاطع القصيرة المفتوحة، فقد كان لها حضور كبير أيضاً، ولعلَّها تُشير إلى امكانية النبي في التحرك، والتحول من حال إلى حال، وذلك من خلال الصفة التي غلبت على تلك المقاطع، إذ وصفها بعض الباحثين، بأنَّها تدلُّ على الرشاقة في الحركة، والخفة في الانتقال، والسرعة[٢٧]، ولعل ذلك يتناسب مع الحال التي آلَ إليها صراع النبي مع فرعون، الذي انتهى بنجاة موسى وقومهِ وهلاك فرعون غرقاً.

أمَّا المقطع الأخير، فقد جاء مفتوحاً، وفيه دلالةٌ على كبر وسعة حجم الطغيان الذي اتصف به فرعون، ومعلوم بأنَّ فرعون قد تجاوز الحدود في طغيانه، إذ نازع الله تعالى في ربوبيته[٢٨]؛ لذلك ناسب ذلك حضور المقطع المفتوح، الذي يشير إلى الكثرة والسعة في غالب استعماله، والتي تتناسب مع المبالغة التي جاءت عن فرعون في طُغيانه.

وسنعرض جدولاً يظهرُ من خلاله التشكيل المقطعي للآية:

نوع المقطع	إذْ	هَبْ	إ	لَى	فِرْ	عَوْ	نَ	إنْ	نَ	هُ	طَ	غَى
الرمز	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح

وما تلك المعاني التي نستقيها إلا مصاديق لذلك التماسك، الذي اتصف به النص القرآني المجيد، فالمستوى المعجمي، والصوتي، تناغم المضمون العام للسورة، أو السياق العام، والخاص لها. أمَّا لو نظرنا إلى الصياغة الصرفية، والنحوية، وتحديداً لصيغة الفعل(اذهب)، فإنَّنا نجدها جاءت على صيغة الخطاب المباشر للنبي، وعلى وجه الإلزام؛ لأنه أمرٌ حقيقي، وهذا ينسجم مع نوع الخطاب العام للسورة – كما أشرنا-، إذ تميز بالخصوصية، والمباشرة في التوجيه.

وأشار الطاهر بن عاشور للفكرة ذاتها، إذ قال: (وَالذَّهَابُ الْمَأْمُورُ بِهِ ذَهَابٌ خَاصٌّ، قَدْ فَهِمَهُ مُوسَى مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْإِخْبَارِ بِاخْتِيَارِهِ، وَإِظْهَارِ الْمُعْجِزَاتِ لَهُ، أَوْ صَرَّحَ لَهُ بِهِ وَطَوَى ذِكْرَهُ هُنَا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِيجَازِ)[٢٩].

الدلالة المعجميَّة:

ولنا أنْ نبحثَ في مدى الانسجام، أو التناسب الحاصل بين المعاني التي تربط أجزاء النص الكريم، إذ نجد بأنَّ وصف فرعون بصفة الطغيان، التي تدلُّ على حجم التمادي الكبير، الذي مارسه فرعون، وهو بيان لحجم ونوع المشقة التي وقعت على النبي موسى، وقد ناسبه استعمال لفظٍ يحمل صفة القوة التي تعمل على اذلال، واخضاع ذلك التَّمادي، ولا يكون ذلك إلا من خلالِ ذلك اللفظ- من حيث التناسب الدقيق- الذي أمر الله تعالى به موسى(عليه السلام)، وهو اللفظ (اذهب)، إذ ورد بأنَّ الأخذ الذاهب غالباً ما يكون على وجه أو سبيل الاستعلاء والمكَنة، بغير حاجة الآخذِ إلى التَّربصِ أو التَّرقب.

إذ ذكر عبد العظيم ابراهيم (ت١٤٢٩هـ) بأنَّ(الآخذ الذاهب قد يكون أخذه على سبيل القوة والاستعلاء - كما هنا - فلا تربص ولا ترقب، ولا تَحين فرصة ولا انقضاض ولا فرار خشية اللحاق ولا طلب يُتوقع من المأخوذ منه لأن الآخذ قادر قوى. والمأخوذ منه عاجزٌ ضعيف، ولأنه لا حَول له ولا قوة)[٣٠].

ولعل استعمال ذلك المعنى المستوحى من الفعل (اذهب)، جاء ليقدِّمَ للقارئ تلك الصورة البيانية الرائعة، المتمثلةِ بإظهار القوة والمكَنةِ اللتين رافقتا موسى (عليه السلام)؛ ليكونا سبباً في تقريع واذلال الطغيان الذي رافق فرعون، الذي تجاوز الحدود في حكمه.

وقوله تعالى((طغى)) -كما رأى الزمخشري- يؤذن بأنَّ فرعون سيلاقي دعوة النبي موسى بالاحتقار، والاستهجان، والانكار[٣١]؛ فكان لزاماً بلاغياً من حيث التوازن المعنوي النوعي أنْ يُقَابَلَ هذا الاستهجان بقوةٍ قادرةٍ على دحضه وتقريعه، واذلاله. فحضور الوحدة المُعجمية (اذهب)، وما تحمله من ايحاءاتٍ دلاليَّة ساعد على إبراز معنى التقريع والتأنيب لمن طغى من جانب، ومن جانبٍ آخر عمل على إشعار النبي موسى بالقوة التي من خلالها يمتلك الارتياح أو الانطلاق في رسالته وهو محملٌ بالروح المعنويَّة العالية.

وما ذلك إلا ممَّا ينسجم تماماً مع السياق العام للسورة، وما غلب عليها من جوٍّ عام. وهذا الأمر ليس جديداً أو دخيلاً على العربية ونظامها، بل يُعدُّ ذلك جزءاً من نظام العربية المبني على تعلق كل مستوى تعبيري بالمستوى الآخر، كالمستوى الصوتي، والصرفي، البلاغي، والدلالي، والنحوي[٣٢].

فضلاً عن ذلك فقد جاء الخطاب العام للآية المباركة يتناسبُ تماماً مع الخصيصة الخطابية التي أشرنا إليها، وهي صيغة الخطاب المباشر للمقصود بالخطاب، إذ قال تعالى((اذهب)) والمقصود موسى عليه السلام، ثم ذكر فرعون بشكل مباشر؛ تناسباً مع السياق العام للسورة.

وأشار الاسكافي في مقارنة له عقدها بين أنواع الخطاب الإلهي في الآيات القُرآنيَّة، التي تدور أحداثها حول إرسال موسى، كقوله تعالى((**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**))[**طه:٢٤**]، وقال تعالى((**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**))[**الشعراء:١٠-١١**]، وفي القصص ((**إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين**))[**القصص:٣٢**].

ووجه الاسكافي علة ذلك التفاوت توجيهاً راعى فيه المقام العام لكل سورة، خصوصاً فيما تعلَّق بنوع الخطاب، إذ قال : (الآية الأولى ذُكر فرعون وحده، لأن قومه تبع له، وكأنهم مذكورون)[٣٣].

ولعل ذلك التصريح بتوجيه الخطاب بصيغة المفرد لفرعون دون قومه، ممَّا يعزِّز الحقيقة التي نسعى وراء إبرازها، وهي حقيقةٌ تمثلت بوجود تناسقٍ، وانسجامٍ بين مستويات التعبير.

فالوحدة المعجمية قدمت لنا جماليةً لا يمكن لأيِّ وحدةٍ أُخرى أن تقدمها، كذلك كيفية الخطاب في هذه السورة الكريمة، إذ جاء خطاباً انفرادياً تشخيصيَّاً، وهو ما ظهر عليه خطاب فرعون من غير ملئه. وهذا الخطاب قد عمل على تقديم الثناء والتقدير من خلال التسلية التي يقدمها الله تعالى للأنبياء على وجه التخصيص، فقد حمل اشارةً تكريميةً للأنبياء. ويقابلها التخصيص المعاكس، الذي قدّم فرعون طاغياً قِبالةَ موقف الأنبياء على أنَّه المسؤول الأول عن كُلِّ ما يجري. كل ذلك جاء منسجماً مع السياق العام للسورة، الذي أشرنا إليه.

الدلالة النحويَّة:

ولو نظرنا إلى طريقة التركيب النحوية للكلام، لوجدنا بأنَّ النص قد جمع بين نوعين من الجمل. أمَّا النوع الأول، فهو الجملة الانشائية، والتي تمثلت بجملة الأمر((اذهب إلى فِرْعَوْنَ))، وأمَّا النوع الثاني، فهو الجملة الخبرية، والتي تمثَّلت بقوله تعالى((إنَّه طَغَى)).

وذكر الباحثون بأنَّ عملية المزاوجة بين الأمر والخبر في نظم النص القُرآني الكريم، تعمل على تكاملِ بناء السياق العام للنص، وتعاضدِ لبناته، وإثراءِ المعاني المستوحاة منه، وترابطِ دلالاته على المستويات جميعاً[٣٤].

والمزاوجة هنا بين الأسلوبين تقدم للقارئ تلك الخصوصية، التي هيمنت على السياق العام للسورة، وقد ترابط النوعان(الانشائي، والخبري) بنوع من العلاقة التعليلية، إذ إنَّ الأمر بالذهاب جاء خاصَّاً بالنبي وفي قضيةٍ أو اتجاهٍ خاصٍ، يمثله طغيان فرعون، أي الذهاب معلّلاً بحدوث الطغيان من فرعون، وهذا بحد ذاته يجعل منه ذهاباً خاصاً.

ونستطيع أن نعضد ذلك من خلالِ ما جاء به الطاهر بن عاشور، إذ رأى بأنَّ (جُمْلَةَ إِنَّهُ طَغَى تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا صَلُحَتْ لِلتَّعْلِيلِ لِأَنَّ الْمُرَادَ ذَهَابٌ

خَاصٌّ، وَهُوَ إِبْلَاغُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِإِبْلَاغِهِ إِلَيْهِ مِن تَغْيِيرِه عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ)[٣٥]؛ ولهذا السبب طلب النبي موسى (عليه السلام) من الله تعالى أنْ يوفرَ له الأسباب الطبيعية للفوز على فرعون، (ولَمْ يُبَادِرْ بِالْمُرَاجَعَةِ فِي الْخَوْفِ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ، بَلْ تَلَقَّى الْأَمْرَ وَسَأَلَ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَيْهِ، بِمَا يؤول إِلَى رَبَاطَةِ جَأْشِهِ وَخَلْقِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى تَبْلِيغِهِ، وَإِعْطَائِهِ فَصَاحَةَ الْقَوْلِ لِلْإِسْرَاعِ بِالْإِقْنَاعِ بِالْحُجَّةِ)[٣٦].

الدلالة النفسية :

يمكنُ القولُ إنك تستطيع أنْ تقف على المحتوى الدلالي النفسي من خلال المنابع التي تعمل على إرواء ذهن المتلقي بريان الدلالة، التي يبحث عنها. وللمحتوى الدلالي النَّفسي منابعُ عدَّةٌ، منها المستوى الصوتي. فالعمل على تحري أنواع المقاطع لا يخلو من حقيقة الوقوف على أشكال من المعاني-كما بيَّنا في الدلالة الصوتية-، وكان من بين تلك الأشكال أو الصور الدلالية هي (الدلالة النَّفسية).

ومن هذا المنطلق، فلعل حضور المقاطع الصوتية المغلقة بنسبةٍ تصل إلى نصف عدد المقاطع الكلية للآية الكريمة المقصودة (ست مقاطع من أصل اثني عشر مقطعاً)، ما هو إلا اشارةٌ إلى القوة، والشدة، والعزيمة، التي نستطيع من خلالها أنْ نقف على حرص الله تعالى على بثِّ الروح المعنوية العالية للنبي التي شرع بها دعوته. والتي كان يتمتع بها النبي موسى (عليه السلام) في ايصال رسالته إلى الطاغية فرعون، قبيل إرساله إلى فرعون والتي عزَّزها ما يوحي إليه اللفظ (اذهب) كما أشرنا في الجانب المعجمي. فقد عملت الوحدة المعجمية (اذهب) على رفع الروح المعنوية للنبي عليه السلام.

ومن الاشارات الدلالية النَّفسية، تلك التي نستقيها من الذي ذكره الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، إذ كر أنَّه لمَّا أمر الله تعالى موسى (بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب)[٣٧].

ويبدو أنَّ كلام الزمخشري يوحي إلى أنَّ الحالة النَّفسية التي كان عليها النبي، هي الشعور بالحاجة إلى المعين الذي يمكن من خلاله يحصل الاطمئنان؛ نظراً إلى كبر الطغيان الذي عليه فرعون. ويبدو ذلك في تكملة النص، إذ قال تعالى ((**قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي * وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي * يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي**

* وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي*))[طـه: ٢٥-٣١].

أمَّا الوحدة المعجمية (طغى)، فإنَّا توحي للمتلقي بمدى حجم الاستهتار الذي كان عليه فرعون، ومدى تطاوله على حقوق الخلق، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ، فقد دلَّ على التهور والغرور والكِبر، الذي كان يعيشه فرعون. وذكر ابن عطيه (ت٥٤٢هـ) أنَّ طغى معناه: تجاوز الحدود التي ينبغي للإنسان أن يقف عندها بأن يصدر منه الكفر وتفضيل الحياة الدنيا على الآخرة، والغرور بها، وتكذيبه بالآخرة[٣٨].

أمَّا الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، فقد ذكر بأنَّ معنى طغى عليهم تكبَّرَ عليهم، وبَطَرَ نِعْمَتِي وَأَمِنَ مَكْرِي وَغَرَّتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى جَحَدَ حَقِّي وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتِي؛ كونه تجاوز حدود العباد التي حدَّها الله تعالى[٣٩].

من خلال ما ذُكِرَ لعلنا نستطيع القول بأنَّ المحتوى الدلالي النَّفسي للآية الكريمة، قد تمثل بحالة الطغيان والتكبر والترفع والغرور، الكامنة في قوله (طغى)، التي مثَّلها فرعون. وهي صفات تجاوز بها فرعون ما فرضه الله تعالى على الخلق. وفرضت في قبالة ذلك حضور العدل الإلهي في خلقه، إذ نجد في قوله((اذهب)) حالةَ الأمر الإلهي العظيم، الذي تضمن الغضب الالهي والقوة الإلهية الحقيقية، والشِّدة وضرورة الاستعلاء على الباطل. هذا من ناحية. ومن ناحيةٍ أخرى، نجد ما عليه النبي موسى من قلقٍ وتوترٍ في مواجهةِ طاغوت زمانه؛ لأنَّ الخوف ضدُّ الطغيان، وقد ناسب ذلك التوتر استعمال الوحدة المعجمية(اذهب)-كما أشرنا- ولعل ما جاء في سورة طه تصريح واضح بحالة الخوف، لكنها جاءت في موضع آخر، إذ قال تعالى ((ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ* قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ))[طـه:٤٣-٤٦].

ومن خلال ما تقدم نجد بأن المستويات قد تضافرت لإظهار تلك الحقيقة التي يعمل النص على بيانها، وهي أن الذهاب الذي أوكل إلى النبي موسى، كان يمتلك خصوصيةً، تمثلت بكون فرعون يمثل أقوى طاغيةً في زمانه؛ لذلك جاءت مستويات التعبير تتناسب مع تلك القضية.

فالفعل (اذهب)، كما ذكرنا فيه القصد والمكنة والقوة، والمستوى الصوتي ناسب ذلك كما أشرنا، سواءٌ كان من نوع الحروف المستعملة أم من نوع المقاطع. وكذلك في المستوى النحوي، الذي حرص على بيان تلك الخصوصية من خلال تلك المزاوجة بين الأمر والخبر، إذ جعل الخبر علَّةً للأمر، وما دامت العلةُ كبيرةً ناسبها أنْ يكون الأمر أكبر وأعظم، وهذا لا يكون إلا من الوحدة المعجمية(اذهب).

الخاتمة

❖أثبت البحث الحقيقةُ القرآنيَّة، التي تنص على أنَّ النَّصَّ القرآني الكريم متماسك ومنسجم. وأنَّ مستوياته التعبيريَّة جميعها تعمل بحسب علاقاتٍ دقيقةٍ تصل إلى استحالة التغيير مع بقاء المعنى المراد ذاته.

❖رأى البحث أنَّ هذا النَّمط من التضافر الحاصل بين المستويات التعبيريَّة، هو صورة من صور الاعجاز البياني للقرآن الكريم. إذ إنَّ عملية التناسق الدقيقة بين تلك المستويات وعلى تلك الكيفيَّة دليل على ذلك.

❖بيَّن البحثُ أن القرآن الكريم راعى دلالة المقاطع الصُّوتية في الاستعمال، إذ وجدنا غلبة المقاطع المغلقة في مواضع الانغلاق والشِّدَّة، ووجدنا هيمنت المقاطع القصيرة المفتوحة حيثُ الحاجة إلى الخفة والسُّرعة، أمَّا المقاطع الطويلة المفتوحة فتكون حيثُ السعة في الشيء، سواءٌ كان في الخير أم كان في الشر.

❖استعمال وسائل التعبير لكلِّ مستوى يقوم على أساس أو مبدأ استحالة أن يؤدي أي بديل الدور الذي تؤديه الوسيلة المستعملة. ومثال ذلك استعمال الوحدة المُعجمية (اذهب) الدالة على العلو والاطمئنان في قبالة (طغى) الدالة على الطغيان والاستبداد. استعمال ذلك المعنى المستوحى من الفعل (اذهب)، جاء ليقدِّمَ للقارئ تلك الصورة البيانية الرائعة، المتمثلةِ بإظهار القوة والمَكَنَةِ اللتين رافقتا موسى (عليه السلام)؛ ليكونا سبباً في تقريع واذلال الطغيان الذي رافق فرعون، الذي تجاوز الحدود في حكمه. حضور المظاهر النحوية يدخل في الدائرة ذاتها، أي حيث يُرادُ التوكيد فسوف تجده حاضراً.

ومثال ذلك النص في سورة طه، إذ قال تعالى((**ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ**))[**طه: ٢٤**} قد جمع بين نوعين من الجمل. أمَّا النوع الأول، فهو الجملة الانشائية، والتي تمثلت بجملة الأمر((اذهب إلى فِرْعَوْنَ))، وأمَّا النوع الثاني، فهو الجملة الخبرية، والتي تمثَّلت بقوله تعالى((إنَّه طَغَى)). وذكر الباحثون بأنَّ عملية المزاوجة بين الأمر والخبر في نظم النص القُرآني الكريم، تعمل على تكاملِ بناء السياق العام للنص.

الهوامش:

١ - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢ / ١٠. البقاعي.

٢ - المصدر نفسه : ٢ / ١٣٠.

٣ - ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : ١ / ١٩٤ .

٤ -ينظر: البنية الصوتية ودلالتها في شعر عبد الناصر دراسة تاريخية وصفية تحليلية : ابراهيم مصطفى ابراهيم رجب : ٣٣ . رسالة ماجستير / الجامعة الاسلامية/ كلية الآداب / غزة.

٥ - ينظر : العين : ٥ / ٣١٢- ٣١٣. (مادة- سكن).

٦ - ينظر : معجم ديوان الأدب : الفارابي : ٣ / ٢٠٩ - ٢٤٧- ٣٩١.

٧ - ينظر : معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس : ٣ / ٨٨ . (سكن).

٨ - ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ١ / ١٩٣ – ١٩٤ .

٩ - ينظر : الكشاف : ١ / ١٢٦.

١٠ - أسرار التكرار في القرآن : محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت٥٠٥هـ): ٧١.

١١ - ينظر: الكشاف : ١٢٦/١.

١٢ - ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) : ٣ / ٤٥٣.

١٣ - ينظر : التعبير القُرآني : د. فاضل صالح السامرائي: ٢٨٨ .

١٤ - ينظر : المصدر السابق : ٢٩١ .

١٥ - ينظر : المصدر السابق : ٢٩١.

١٦ - ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل : ١ / ١٢٢ -١٢٣ .

١٧ - ينظر : التعبير القرآني : ٢٩١ .

١٨ - كشف المعاني في المتشابه من المثاني : ٢٩ – ٣٩ .

١٩ - ينظر : التعبير القرآني : ٢٩٠.

٢٠ - ينظر : المصدر السابق : ٢٩١ .

٢١ - ينظر : ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل : ١ / ٢٩.

٢٢ - ينظر : التَّضام في القرآن في سورتي هود وطه : بو ضياف محمد الصالح : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

٢٣ - ينظر : تهذيب اللغة : الأزهري (ت٣٧٠هـ) : ٨ / ١٥٣ .

٢٤ - ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٢٠ .

٢٥ - ينظر : أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة أنموذجاً : نرمين غالب أحمد : ٤٦. جامعة زاخو كردستان، العراق/ بحث منشور.

٢٦ - ينظر : النظام المقطعي ودلالته في سورة الأنفال، دراسة صوتية وصفية تحليلية: إلهام حبيب دياب أبو لباد: ٣٣ . / رسالة ماجستير- الجامعة الاسلامية – غزة / عمادة الدراسات العليا -كلية الآداب: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٢٧ - ينظر: أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة أنموذجاً: ٥٠ .

٢٨ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٤٥ .

٢٩ - ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢١٠.

٣٠ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : ٢ / ٣٤٥ .

٣١ - ينظر : الكشاف : ٢٠ / ٧٨ .

٣٢ - ينظر : الاعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي: الدكتور : حسن منديل حسن العكيلي : ٨٩ .

٣٣ - درة التنزيل وغرة التأويل : ١ / ٨٩٥.
٣٤ - ينظر : المزاوجة بين الخبر والانشاء في النظم القرآني: أحمد محمد عبد الله بن سلمان : ١٠٠ ./ رسالة ماجستير / جامعة أم درمان الاسلامية- معهد البحوث ودراسات العالم الاسلامي. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٣٥ - التحرير والتنوير : ١٦ / ٢١٠ .
٣٦ - التحرير والتنوير : ١٦ / ٢١٠ .
٣٧ - الكشاف : ٣ / ٦٠ .
٣٨ - ينظر : تفسير ابن عطية : ٥ / ٤٣٥.
٣٩ - ينظر : التفسير الكبير : ٢٥ / ١٤ .

المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكُتُبُ المطبوعة:

•مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى(المَقْصِد الأسمى في مُطابقة اسم كل سورة للمُسمَّى): لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البُقاعي (ت ٨٨٥هـ):دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض: الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
•مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الفضل بن الحسن الطَبْرسي (ت٥٤٨هـ) : النشر: دار المعرفة للطباعة والنشر /ناصر خسرو _ ايران/ الطبعة الثامنة. د.ت.
•البنية الصوتية ودلالتها في شعر عبد الناصر دراسة تاريخية وصفية تحليلية : ابراهيم مصطفى ابراهيم رجب : رسالة ماجستير / الجامعة الاسلامية/ كلية الآداب / غزة.
•العين :: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت١٧٠هـ) : تحقيق : الدكتور : مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي : الناشر : دار ومكيبة الهلال . د . ط . ت.
•معجم ديوان الأدب : لأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن الحسين الفارابي(ت٣٥٠هـ) : تحقيق : الدكتور احمد مختار عمر: مراجعة : د. ابراهيم انيس : الناشر : مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر- القاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م . د . ط .
•مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ): تحقيق : عبد السلام محمد هارون : الناشر : دار الفكر : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . د. ط.
•الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله(ت٥٨٣هـ): الناشر: دار الكتاب العربي : بيروت: الطبعة: الثالثة / ١٤٠٧هـ.
•مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ) : الناشر : دار احياء التراث العربي/ بيروت الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ .
•التعبير القرآني : الدكتور/ فاضل صالح السامرائي: الناشر : دار الزهراء : ايران : ١٣٨٧ش. د. ط.
•ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي: وضع حواشيه : عبد الغني محمد علي الفاسي : الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: د .

ط . ت .
•التَّضام في القرآن في سورتي هود وطه : بو ضياف محمد الصالح : رسالة ماجستير : كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها: / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان/ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م / جمهورية الجزائر.
•تهذيب اللغة : لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ) : تحقيق : محمد عوض مرعب : الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت : الطبعة الأولى : ٢٠٠١م .
•المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ): تحقيق : صفوان عدنان الداودي: الناشر: دار القلم-الدار الشاميَّة-لبنان: الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.
•أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة أنموذجاً : نرمين غالب أحمد : جامعة زاخو كردستان، العراق/ بحث منشور.
•النظام المقطعي ودلالته في سورة الأنفال، دراسة صوتية وصفية تحليلية: إلهام حبيب دياب أبو لباد: / رسالة ماجستير- الجامعة الاسلامية - غزة / عمادة الدراسات العليا -كلية الآداب: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
•الميزان في تفسير القرآن : للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ): منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قُم المقدسة: د. ط . ت .
•التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير كتاب الله المجيد : لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ): الناشر : الدار التونسية للنشر : ١٩٨٤ .د. ط.
•خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني (ت١٤٢٩هـ): الناشر: مكتبة وهبة : الطبعة الأولى(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. أطروحة دكتوراه .
•الاعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي: الدكتور : حسن منديل حسن العكيلي : الناشر : دار الكتب العلمية : بيروت - لبنان : الطبعة : الأولى : ٢٠٠٩م.
•درة التنزيل وغرَّة التأويل : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الاصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي: دراسة وتحقيق : محمد مصطفى آيدين : الناشر : جامعة أم القرى/وزارة التعليم العالي /سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها(٣٠) معهد البحوث العلمية-مكة: الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
•المزاوجة بين الخبر والانشاء في النظم القرآني: أحمد محمد عبد الله بن سلمان : ١٠٠ ./ رسالة ماجستير / جامعة أم درمان الاسلامية- معهد البحوث ودراسات العالم الاسلامي. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
•المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز : لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ): تحقيق : عبد السلام عبد الشافعي محمد : الناشر : دار الكتب العلمية - لبنان : الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـ .